رواية إيلثار

كتابة

يحيى رضا

المقدمة

لسنا دائمًا كما نظن.

أحيانًا نعيش أعوامًا كاملة
نُصدّق أن قيمتنا تُقاس بما نُمنَح،
وبمن يبقى،
وبما يُكتب بجوار أسمائنا.

ثم يأتي يومٌ عاديّ جدًا،
يُسقِط هذا الوهم بهدوء.

هذه ليست حكاية خسارة.
ولا حكاية حب.

إنها حكاية إنسان
تعلّم متأخرًا
أن أخطر ما يمكن أن يفقده
ليس شخصًا...
بل نفسه.

وفي الطريق إلى استعادتها،
اكتشف أن بعض النهايات
ليست سوى بداية أكثر صدقًا.

الفصل الاول

في مدينة إيلڤار، لم يكن المستقبل يُترك للصدفة.

كل شيء يُكتب.
كل شيء يُختم.
كل شيء يُعلّق أخيرًا على لوحة حجرية ضخمة في ساحة المدينة، تحت عبارة محفورة منذ مئات السنين:

"العدل أساس المصير."

صباح إعلان النتائج كان باردًا على غير العادة، رغم أن الصيف في أوجه.
السماء ملبّدة بغيوم رمادية خفيفة، كأنها تؤجل شروقًا لا تريد له أن يأتي.

تجمّع الطلاب أمام اللوحة، يتدافعون، يضحكون، يتظاهرون بالثقة، بينما القلق ينهشهم بصمت.

كان بينهم ريان آركان.

ريان لم يكن طويلًا بصورة لافتة، ولا قصيرًا لدرجة تُذكر.
جسده نحيل، لا يحمل ملامح رياضية ولا ضعفًا واضحًا.
شعره داكن يميل إلى السواد، يتركه طويلًا قليلًا من الأمام دون عناية حقيقية.
وجهه هادئ... أكثر هدوءًا مما ينبغي.
عيناه بنيتان، ليستا لامعتين، لكن فيهما شيء يشبه العمق الصامت... كأنه يفكر أكثر مما يتكلم.

ريان لم يكن مميزًا في شيء.
وهذا تحديدًا ما كان يميّزه.

لم يكن الأول في الفصل.
لم يكن الأخير.
لم يكن صاحب الكاريزما الطاغية.
ولا الفتى المنعزل تمامًا.

كان... عاديًا.

وهذا ما كان يريده.
أو هكذا أقنع نفسه.

وقف على أطراف الجمع، لا يحب الزحام، يراقب أكثر مما يشارك.
بجواره كان سامر كيلان، على عكسه تمامًا.

سامر أطول قليلًا، كتفاه أعرض، ضحكته أعلى، حضوره أقوى.
كان يعرف كيف يتكلم مع الجميع، كيف يختار كلماته، كيف يكون في منتصف أي دائرة.

وإذا كان ريان هو الصمت،
فسامر هو الصوت.

"يلا يا ريان، خلصنا من التوتر ده."
قالها سامر وهو يضحك، لكنه كان يضغط على أصابعه بعصبية واضحة.

تقدموا.

اللوحة الحجرية كانت ضخمة، مقسمة إلى أعمدة بأسماء الطلاب والمدارس التي تم قبولهم فيها.
المدرسة الأهم في إيلڤار كانت "المدرسة العليا المركزية" — البوابة الرسمية لمستقبل مريح.

ريان لم يكن يحلم بالقمة.
كان فقط يريد أن يبقى داخل مدينته.

تتبعت عيناه الأسماء ببطء.

قلبه لم يكن يخفق بعنف.
كان ثابتًا... أكثر من اللازم.

حتى وصل.

ريان آركان.

تجمدت أصابعه.

لم يكن اسمه تحت عمود المدرسة العليا.

كان في عمود آخر... في الأسفل.

أكاديمية آستور — خارج حدود إيلڤار.

لثوانٍ، لم يفهم.

قرأ الاسم مرة.
ثم مرتين.
ثم اقترب أكثر، كأن المسافة هي المشكلة.

آستور؟

المدرسة التي تبعد ساعة عن المدينة.
المدرسة التي يُعاد فيها تقييم الطلاب.
المدرسة التي يُقال عنها همسًا إنها مخصصة للحالات "غير المستقرة".

"مستحيل..."
تمتم سامر.

بدأت الهمسات تنتشر حولهما.

"أكيد في خطأ."
"ريان درجاته مش وحشة."
"يمكن حصل إعادة تصحيح؟"

إعادة تصحيح.

وقعت الكلمة داخله كحجر في ماء راكد.

نظر بجوار اسمه.

كان هناك ختم صغير أحمر، بالكاد يُرى، يحمل رمزًا لا يُستخدم كثيرًا:
علامة إعادة الفحص.

لم يخبره أحد أن ورقته أُعيدت مراجعتها.
لم يتلقَ أي تنبيه.
لم يستدعوه.

وكأن الأمر حدث بعيدًا عنه.

شعر بشيء غريب...
ليس حزنًا.
ولا غضبًا.

بل إحساسًا بأن الأرض تحركت سنتيمترًا واحدًا فقط...
لكن ذلك كان كافيًا ليختل توازنه.

وفي تلك اللحظة، وقعت عيناه عليها.

ليان موريل.

كانت تقف على مسافة من الزحام، تمسك طرف حقيبتها بيد، وتنظر إلى اللوحة بهدوء.

ليان لم تكن من النوع الصاخب.
ملامحها ناعمة، بشرتها فاتحة تميل للقمحي، شعرها بني داكن يصل إلى كتفيها، غالبًا ما تتركه منسدلًا ببساطة.
عيناها واسعتان، بلون العسل، فيهما صفاء غريب... كأنها تنتمي لمكان أهدأ من إيلڤار.

لم تكن الأجمل في المدينة.
لكنها كانت من النوع الذي يترك أثرًا دون أن يطلبه.

رفعت عينيها فجأة.

التقت نظراتهما.

ثانية واحدة فقط.

لم تبتسم.
لم تعبس.
لم تُظهر شفقة.

لكن كان في نظرتها شيء يشبه المعرفة...
كأنها قرأت ما لم يُكتب على اللوحة.

خفض ريان عينيه سريعًا.

لم يكن يعرفها جيدًا.

تعرف عليها من الحافلة المدرسية، من مقعد قريب، من أحاديث عابرة.

لكن تلك النظرة... لم تكن عابرة.

"هنسأل الإدارة."
قال سامر بحزم.
"أكيد ده خطأ."

ريان هز رأسه ببطء.

لكنه في داخله لم يكن مقتنعًا أنها مجرد غلطة.

كان يشعر... أن شيئًا ما حدث.
شيئًا لم يكن عشوائيًا.

في المساء، جلس أمام نافذته.

إيلڤار بدت هادئة كما دائمًا.
الأضواء الذهبية تنعكس على الجدران الحجرية القديمة.
الناس تمشي كأن شيئًا لم يتغير.

لكنه هو... تغيّر.

لم يكن نفيًا رسميًا.
ولم يكن فشلًا واضحًا.

كان انحرافًا بسيطًا في المسار.

والانحرافات الصغيرة...
هي التي تغيّر الاتجاه بالكامل.

مد يده إلى مكتبه، فتح دفتره القديم، وكتب دون وعي:

"هل يمكن لخط صغير بجانب اسمك... أن يعيد كتابة حياتك؟"

توقف.

نظر إلى الكلمة الأخيرة.

حياتك.

وفي مكانٍ ما داخل أرشيف إيلڤار،
كان هناك سجل يحمل اسمه.

وقد تم فتحه...
مرتين.

ريان لم يكن يعلم بعد
أن من طلب إعادة فتح صفحته
لم يكن موظفًا مجهولًا.....ولم يكن غريبًا

الفصل الثاني

الطريق إلى أكاديمية آستور كان أطول مما توقّع ريان.

الحافلة التي تنقل الطلاب إلى خارج حدود إيلڤار لم تكن مزدحمة.
عدد قليل من المقاعد الممتلئة... وعدد أكبر من المسافات الصامتة.

ريان جلس بجوار النافذة، يراقب أسوار المدينة وهي تبتعد ببطء.
جدران إيلڤار الحجرية كانت تبدو ضخمة من الداخل...
لكن من الخارج بدت أقل مهابة، كأنها تخفي ضعفًا لا يراه سكانها.

لم يكن حزينًا بالشكل المتوقع.
لم يبكِ.
لم يحتج.

كان فقط يشعر أن شيئًا سُحب من تحته دون إنذار.

جلس سامر بجواره، كعادته.

سامر لم يتركه منذ يوم إعلان النتائج.
كان يتحدث أكثر من المعتاد، يروي نكاتًا، ينتقد الإدارة، يقسم أن الأمر غير عادل.

"هتعدي، صدقني. سنة واحدة هناك وبنرجع أقوى."
قالها وهو يربت على كتف ريان.

ريان ابتسم ابتسامة خفيفة.

هو يعرف سامر منذ الطفولة.
يعرف طريقته في إخفاء القلق خلف الضحك.
يعرف أنه يكره الشعور بالعجز.

لكن هناك شيء مختلف اليوم.

سامر كان ينظر إليه كثيرًا.
أكثر من اللازم.

عند أول استراحة للحافلة، نزل الطلاب لشراء بعض الماء.

كانت هناك حافلة أخرى متوقفة.
حافلة طلاب إيلڤار المتجهين للمدرسة العليا.

رأى ريان شعرًا بنيًا يعرفه قبل أن يرى الوجه.

ليان موريل.

كانت تقف قرب الحافلة الأخرى، تمسك كتابًا بيدها، تقلب صفحاته دون أن تقرأ حقًا.

للحظة، تردد.

ثم اقترب بخطوات مترددة.

لم يكن بينهما تاريخ طويل.
مجرد تحيات عابرة في الحافلة القديمة.
نظرات قصيرة.
ابتسامات خفيفة.

لكنه اليوم شعر أنه بحاجة لشيء ثابت...
لشخص من نفس المدينة... نفس الشوارع... نفس الرائحة.

"مبروك."
قالها بهدوء.

رفعت ليان رأسها.

ابتسمت. ابتسامة صغيرة، صادقة.

"كنت متوقعة أشوف اسمك هناك."
أشارت برأسها نحو حافلتها.

هز كتفيه بخفة.
"يمكن السجل حب يغيّر رأيه."

ضحكت بخفة.
ضحكة قصيرة، لكنها كسرت شيئًا من ثقل الجو.

صمت قصير.

ثم قالت:
"أحيانًا اللي بيبان خسارة... بيطلع بداية."

نظر إليها للحظة أطول مما ينبغي.

لم تكن الكلمات عميقة جدًا.
لكنها خرجت منها بهدوء جعلها تبدو كأنها تعرف أكثر مما تقول.

من بعيد، كان سامر يراقب.

لم يكن واضحًا إن كان يبتسم... أم يقيّم المشهد.

عادت الحافلتان للتحرك.

هذه المرة، جلس ريان صامتًا.

كان قلبه يخفق بإيقاع مختلف.

ليس بسبب النتيجة.
ولا بسبب المدرسة.

بل بسبب تلك الدقيقة.

بعد نصف ساعة من الصمت، قال سامر فجأة:

"هي كانت بتبص عليك قبل ما تكلمها."

التفت ريان إليه.
"مين؟"

"ليان."
ابتسم سامر نصف ابتسامة.
"فاكر إني مش باخد بالي؟"

شعر ريان بحرارة خفيفة تصعد إلى وجهه.
حاول إخفاءها بالنظر إلى النافذة.

"عادي يعني."

سامر ضحك.
"عادي إيه؟ يا عم ده واضح."

تردد ريان لحظة.

لم يكن من النوع الذي يتكلم بسهولة عن مشاعره.
لكن سامر لم يكن مجرد صديق.
كان حافظ أسراره... شاهِد ضعفه... نصف تاريخه.

خفض صوته قليلًا.

"يمكن... يمكن أنا معجب بيها شوية."

قالها بخفة... لكنه كان يعنيها أكثر مما أظهر.

سامر سكت.

ثانيتان.
ثلاث.

ثم قال بنبرة طبيعية جدًا:
"طب ما تتحرك."

"إزاي؟"

"بسيطة. نتقرب... نفتح كلام... وأنا أظبط الدنيا."

رفع ريان حاجبه.
"أظبط إيه؟"

ابتسم سامر بثقة.
"سيبها عليّ."

لم يسأل ريان ماذا يقصد.

ولم يفكر كثيرًا.

كان يشعر لأول مرة منذ أيام... بشيء يشبه الأمل.

في المساء، عاد ريان إلى غرفته الجديدة في آستور.

أصغر من غرفته في إيلڤار.
أبسط.
أهدأ.

جلس على سريره، يستعيد اللحظة.

نظرتها.
ابتسامتها.
جملتها.

فتح هاتفه.
توقف قليلًا عند اسمها في قائمة المتابعين.

أغلق الهاتف.

لم يكن شجاعًا بما يكفي بعد.

على الجانب الآخر من المدينة،
كان سامر يرسل رسالة.

رسالة قصيرة.
عادية في ظاهرها.

لكنها لم تكن موجهة لريان.

ولم يكن يعلم ريان
أن أول سرّ حقيقي في قصته
لم يعد بينه وبين صديقه وحدهما.

الفصل الثالث

أكاديمية آستور لم تكن كما تخيّلها ريان.

لم تكن مكانًا كئيبًا كما وصفها البعض،
ولا كانت مهيبة كما حاولت الإدارة تصويرها.

كانت فقط... مختلفة.

المبنى حجري قديم، تحيط به أشجار عالية تحجب نصف السماء، كأن الضوء يصل إليه بعد تفكير.
الممرات أطول من اللازم، والأصوات فيها تتردد أكثر مما ينبغي، كأن كل خطوة تحمل صدى إضافيًا.

في الأسبوع الأول، كان كل شيء غريبًا.

وجوه جديدة.
لهجات مختلفة.
طلاب يحملون نفس النظرة التي يحملها:
نظرة من أُخرجوا من مسارهم فجأة.

ريان لم يحاول تكوين صداقات بسرعة.
جلس في الصفوف الوسطى، لا في المقدمة ولا في الخلف.
كما اعتاد دائمًا.

لكن رغم المكان الجديد، كان عقله يعود إلى إيلڤار أكثر مما ينبغي.

إلى الساحة الحجرية.
إلى لوحة النتائج.
وإلى تلك النظرة القصيرة.

ليان موريل.

لم يكن يعرف عنها الكثير.
لكنه كان يعرف إحساسه حين تنظر إليه.

في نهاية الأسبوع الأول، عاد إلى إيلڤار لأداء اختبار تكميلي تنظمه المدينة لطلاب آستور.

العودة كانت غريبة.
كأنه يزور نسخة قديمة من حياته.

الممرات نفسها.
الوجوه نفسها.
لكنه لم يعد ينتمي تمامًا.

جلس في قاعة الامتحان.

كانت المقاعد مرتبة في صفوف متباعدة.

الهواء مشحون بالتوتر المعتاد.

وبينما كان يخرج قلمه، سمع صوت الكرسي المجاور يتحرك.

رفع رأسه.

ليان.

جلست على بعد مقعدين منه.

لم يكن الأمر مرتبًا هكذا في الاختبارات السابقة.
ولم يكن يعرف إن كان صدفة... أم شيئًا آخر.

ارتبك للحظة، ثم عاد إلى ورقته.

مرّ نصف الوقت، وذهنه مشتت بين السؤال الرابع ونبضه المتسارع.

وحين انتهى الوقت، بدأ الطلاب في تسليم أوراقهم.

وقف ريان، وتقدّم نحو الطاولة الأمامية.

وعند عودته إلى مقعده ليأخذ حقيبته، وجد ورقة صغيرة موضوعة فوقها.

بيضاء... مطوية بعناية.

تجمّد.

نظر حوله بسرعة.

القاعة تكاد تخلو.

فتح الورقة.

كانت تحتوي على إجابات ثلاثة أسئلة كان مترددًا فيها.

خطّها واضح... مرتب... هادئ.

خط ليان.

رفع رأسه.

كانت تقف عند الباب، تمسك حقيبتها، تنظر نحوه للحظة.

لم تبتسم.
لكنها لم تهرب بعينيها.

ثم خرجت.

ظل واقفًا مكانه، الورقة في يده.

لم يكن محتاجًا للإجابات بعد انتهاء الامتحان.

إذًا لماذا أعطتها له؟

سؤال بسيط...
لكن ثقيل.

في الخارج، كان سامر ينتظره.

"خلصت؟"

أومأ ريان.

كان ممسكًا بالورقة داخل جيبه، يشعر بها كأنها شيء أثقل من حجمها الحقيقي.

"شكلها كانت قاعدة جنبك."
قالها سامر بنبرة عادية... أكثر من اللازم.

نظر إليه ريان سريعًا.
"إنت كنت فين؟"

"برا القاعة. شوفتها وهي طالعة."

صمت قصير.

ثم قال سامر مبتسمًا:
"واضح إن في حاجة."

تردد ريان لحظة.

ثم، دون مقاومة كبيرة، أخرج الورقة.

ناولها له.

قرأ سامر ما فيها ببطء.

رفع حاجبه.
"دي إجابات كاملة تقريبًا."

"أيوه... بس بعد ما خلصنا."

سامر ابتسم ابتسامة خفيفة.

"بس برضه... مش أي حد يعمل كده."

لم يعرف ريان لماذا شعر بشيء غريب في تلك اللحظة.

لم تكن غيرة.
ولا شكًا واضحًا.

كان فقط إحساسًا عابرًا بأن سامر يفكر أكثر مما يُظهر.

"هتكلمها؟"
سأله سامر فجأة.

"مش عارف."

"يا عم بسيطة. اشكرها وخلاص. افتح كلام."

نظر ريان إلى الأرض قليلًا.

لم يكن معتادًا أن يبدأ.

لكن فكرة أن يتجاهل الأمر بدت أسوأ.

في المساء، جلس في غرفته في آستور.

أخرج الورقة من جيبه مرة أخرى.

تأمل الخط.

بسيط.
منظم.
هادئ... مثلها.

فتح هاتفه.

دخل إلى حسابها.

توقف لحظة طويلة.

ثم كتب:

"شكرًا على الورقة."

انتظر.

دقائق مرت ببطء غير منطقي.

ثم ظهر الرد:

"ورقة إيه؟"

ارتبك.

كتب بسرعة:
"إجابات الامتحان."

جاء الرد بعد دقيقة:
"أها... مكنتش عارفة هتحتاجها ولا لأ."

ابتسم دون أن يشعر.

بدأ الحديث بسيطًا.

سؤال عن الامتحان.
تعليق عن آستور.
مزحة صغيرة.

لم يكن حوارًا عميقًا.

لكنه كان صادقًا.

ولأول مرة منذ إعلان النتائج،
شعر أن اليوم لم ينتهِ بخسارة.

لم يكن يعلم أن تلك الرسالة الصغيرة
ستفتح بابًا...

ولم يكن يعلم أن هناك شخصًا آخر
يعرف عن هذه الرسالة
قبل أن ينام.

وفي مكانٍ ما في إيلفار،
كان هاتفٌ آخر يضيء بإشعار.

رسالة قصيرة تقول:

"هو كلّمها."

الفصل الرابع

لم تبدأ القصة باعترافات كبرى.
ولا بجمل شعرية.
ولا بوعود.

بدأت بكلمة "شكرًا".

ثم سؤال.
ثم ضحكة مكتوبة بين قوسين.

لكن بعض العلاقات لا تحتاج إلى ضجيج كي تبدأ.
تحتاج فقط إلى مساحة آمنة.

وخلال الأيام التالية، صارت تلك المساحة تُفتح كل مساء.

كان ريان ينتظر الليل.

ينتظر اللحظة التي تخفت فيها أصوات آستور،
حين يعود كل طالب إلى غرفته،
وحين يصبح العالم أصغر... وأصدق.

كان يجلس على طرف سريره، الهاتف بين يديه،
يتردد أحيانًا قبل أن يكتب،
يمسح الجملة مرتين،
ثم يرسلها.

ليان لم تكن تكتب كثيرًا.
لكن كلماتها كانت مرتبة، واضحة، بلا استعراض.

علم أنها تحب القصص والروايات.
تحب الحكايات التي تبدأ عادية ثم تنقلب فجأة.
تحب الأبطال الذين ينكسرون ثم يقفون من جديد.
وتحب النهايات التي تترك جملة عالقة في القلب.

قالت له ذات ليلة:

"أكتر حاجة بحبها في أي رواية... آخر سطر.
السطر اللي يخليك تقفل الكتاب وتفضل ساكت شوية."

سألها مبتسمًا:
"ليه آخر سطر تحديدًا؟"

ردّت:
"عشان أوقات الحقيقة كلها بتكون متلخصة فيه."

توقف عند الجملة.

لم يكن قارئًا حقيقيًا قبلها.
كان يرى الكتب أوراقًا ثقيلة.

لكن معها، بدأ يشعر أن الكلمات ممكن تغيّر إنسان.

كانت تسأله عن آستور.
عن شعوره هناك.

في البداية، كان يجيب باختصار.

لكنه لاحظ أنها لا تسأله بدافع الفضول...
بل بدافع الاهتمام.

وفي إحدى الليالي، كتبت له:

"حاسه إنك مش زعلان زي ما المفروض تكون."

توقف طويلًا قبل الرد.

لم يكن أحد قد لاحظ ذلك.

كتب:

"مش عارف أزعل على حاجة مش فاهمها."

جاء الرد سريعًا:

"يمكن الفهم ييجي بعدين."

ظل يحدق في الجملة.

كانت بسيطة.
لكنها بدت كأنها تراه.

في آستور، بدأ الطلاب يعتادون المكان.

لكن ريان لم يكن يعتاد غياب إيلفار.

كان يشتاق للحافلة القديمة.
للمقعد الذي كانت تجلس فيه ليان أحيانًا قرب النافذة.
للمدينة التي لم يكن يقدّرها حتى كاد يفقدها.

ومع كل رسالة منها، كان يشعر أن المسافة تقل.

لم يتحدثا عن مشاعر مباشرة.
لم يقل "أنا معجب بك".
ولم تقل "وأنا كذلك".

لكن كان هناك شيء بين السطور.
شيء ينمو بصمت.

في نهاية الأسبوع، عاد إلى إيلفار لقضاء يومين.

اتفقا أن يلتقيا صدفة — كما سمّتها ليان — في المكتبة العامة.

لم يكن الموعد واضحًا.
ولا رسميًا.

لكن كلاهما حضر.

كانت المكتبة هادئة، الضوء يتسلل من النوافذ العالية، والغبار يلمع في الهواء كأنه ذرات ذهبية صغيرة.

رآها أولًا هذه المرة.

كانت تقف أمام رف الروايات، تقرأ ظهر كتاب، شعرها منسدل على كتفيها، عيناها مركّزتان كأن العالم حولها اختفى.

اقترب بخطوات بطيئة.

لم يرد أن يفاجئها.

لكنها شعرت به.

رفعت رأسها.

ابتسمت.

لم تكن ابتسامة كبيرة.
لكنها كانت حقيقية.

جلسا على طاولة خشبية صغيرة.

لم يلمسا أيدي بعضهما.
لم يقتربا أكثر مما ينبغي.

لكن المسافة بينهما لم تكن باردة.

تحدثا عن الروايات التي تحبها.
عن النهايات التي تظل عالقة.
عن الشخصيات التي تشبه الناس الحقيقيين.

ثم، فجأة، قالت:

"ريان... أنا مش بحب ألعب بمشاعر حد."

تفاجأ.

"ولا أنا."

نظرت إليه بثبات.
"عشان كده لازم أبقى واضحة."

شعر بقلبه يتسارع.

لكنها لم تُكمل.

دخل أحد الموظفين يطلب منهم خفض أصواتهم، رغم أنهما لم يكونا مرتفعين.

ضحكت بخفة، وقالت:

"نكمل كلام بعدين."

كانت تلك الكلمة بداية الانزلاق.

في الليلة التالية، أرسلت له رسالة طويلة.

لم يكن مستعدًا لها.

قرأها مرة.
ثم أعاد قراءتها ببطء.

كانت تقول إنها لا تستطيع الاستمرار بهذا الشكل.
أنها لا تريد أن تخون ثقة أهلها.
أن العلاقة قبل الوقت المناسب ليست صحيحة.
أنها لا تتسلى به...
وأن الله يعلم ما في قلبها.

توقفت عيناه عند الجملة الأخيرة.

"وأتمنى ما تكرهنيش."

ظل الهاتف في يده.

لم يغضب.

لم يصرخ.

لم يتهمها.

شعر فقط أن الضوء الذي بدأ يتكوّن... انطفأ قبل أن يكتمل.

كتب ردًا قصيرًا:

"مش بكرهك."

ثم أغلق الهاتف.

جلس في الظلام.

لم تكن الخسارة كبيرة بما يكفي لتُسمى حبًا.
لكنها كانت أكبر من أن تُسمى إعجابًا عابرًا.
في تلك الليلة،

لم ينم سريعًا.

ولم يكن يعلم أن الأسبوع الذي امتلأ بالضوء
كان مقدمة
لعتمة أطول مما يتخيل.

الفصل الخامس

مرّ أسبوع بعد رسالتها.

لم تختفِ تمامًا.

لم تحظره.
لم تقطعه بالكامل.

لكن الحديث لم يعد كما كان.

كانت ترد أحيانًا.
تغيب أحيانًا.
تكتب جملة قصيرة... ثم تختفي يومين.

لم يعد الليل مساحة آمنة.
صار مساحة انتظار.

ريان لم يضغط عليها.
لم يحاول إقناعها.
كان يخشى أن يبدو متشبثًا... أو ضعيفًا.

لكنه في داخله كان يتمسك بالخيط الرفيع الذي لم ينقطع بعد.

جاء يوم إعلان النتائج النهائية لإعادة التقييم.

عاد إلى إيلڤار مبكرًا.

الساحة الحجرية نفسها.
اللوحة نفسها.
العبارة نفسها:

"العدل أساس المصير."

هذه المرة لم يكن هناك حشد كبير.
فقط بعض الطلاب الذين خضعوا لإعادة المراجعة.

اقترب بخطوات ثابتة.

لم يكن يتوقع معجزة.

لكنه كان يتوقع تصحيحًا.

بحث عن اسمه.

وجده.
لم يتغير شيء.

ما زال في أكاديمية آستور.

لا تعديل.
لا اعتذار.
لا تفسير.

ظل ينظر إلى اسمه طويلًا.

شعر بشيء ثقيل يستقر في صدره.

لم تكن خيبة أمل صاخبة.
كانت إحساسًا بباب أُغلق دون صوت.

اتصل بوالده.

أخبره بالنتيجة.

الرد جاء هادئًا، عمليًا، كما اعتاد:
"كمل هناك. المهم مستقبلك."

أنهى المكالمة.

جلس على أحد المقاعد الحجرية في الساحة.

الناس تمر بجواره.
المدينة تمارس حياتها.

لكن داخله... كان صامتًا بشكل مؤلم.

عاد إلى آستور مساءً.

لم يفتح هاتفه فورًا.

لم يكن لديه طاقة لحديث عادي.

نام.

نومًا ثقيلًا... بلا أحلام.

استيقظ متأخرًا في اليوم التالي.

أول شيء فعله دون وعي... كان أن يفتح هاتفه.

دخل إلى المحادثة.

لم يجدها.

ظن أنه أخطأ.

بحث عن اسمها.

لم يظهر.

دخل إلى حسابها.

الصفحة غير متاحة.

ظل ينظر إلى الشاشة لثوانٍ طويلة قبل أن يفهم.

لقد حظرته.

لا رسالة أخيرة.
لا توضيح.
لا وداع.

فقط... حذف.

شعر بوخزة حادة هذه المرة.

ليست كالتي شعر بها أمام لوحة النتائج.

هذه أقرب.

أعمق.

لم يكن الحظر مجرد زر.

كان إعلان نهاية لم تُكتب.

جلس على طرف السرير.

الهاتف في يده.

أعاد فتح التطبيق.
أغلقه.
فتح قائمة الأصدقاء.
عاد.

كأن عقله يرفض الفكرة.

لم يغضب منها.

ولم يكرهها.

لكن شيئًا داخله انكسر.

ليس لأنها ابتعدت.

بل لأنها اختارت الصمت الكامل.

في المساء، جلس وحده في فناء الأكاديمية.

السماء فوق آستور بدت أغمق من سماء إيلڤار.

كأن المدينة البعيدة احتفظت بالضوء لنفسها.

تذكّر جملتها:

"أكتر حاجة بحبها في أي رواية... آخر سطر."

ابتسم بسخرية خفيفة.

لم يحصل حتى على آخر سطر.

فقط صفحة ممزقة.

أغمض عينيه.

للمرة الأولى منذ بداية كل هذا...
سمح للحزن أن يظهر.

ليس بالبكاء.

بل بالاعتراف الصامت:

أنه كان يريدها أكثر مما اعترف لنفسه.

ظل جالسًا طويلًا.

ثم، ببطء شديد، نهض.

عاد إلى غرفته.

وقف أمام المرآة.

نظر إلى نفسه كما لو أنه يراها لأول مرة.

شاب عادي.
ملامح عادية.
نتائج عادية.
وحب لم يكتمل.

في تلك اللحظة...
لم يشعر بالغضب تجاهها.

شعر بالغضب تجاه نفسه.

تجاه ضعفه.
تجاه اعتماده على شيء خارج عنه ليشعر بالقيمة.

اقترب من المرآة قليلًا.

وقال بصوت منخفض:

"كفاية."

لم تكن صرخة.
لم تكن دراما.

كانت قرارًا.

في تلك الليلة،
مات شيء.

لكنه لم يكن الحب.

كان الاستسلام.

الفصل السادس

لم يستيقظ ريان في اليوم التالي كشخص مختلف.

لم تختفِ الوخزة.
لم يهدأ الفراغ فجأة.

لكنه استيقظ وفي داخله شيء جديد:
رفض.

رفض أن يبقى كما هو.

مرّ اليوم عاديًا في آستور.

محاضرات طويلة.
أصوات طباشير.
طلاب يتذمرون.

لكن ريان لم يكن يستمع جيدًا.

كان يراقب نفسه.

كيف يجلس.
كيف ينحني كتفاه قليلًا دون أن يشعر.
كيف يتجنب النظر المباشر في أعين الآخرين.
كيف يتحدث بصوت منخفض... كأنه يعتذر عن وجوده.

لم يكره نفسه.

لكنه رأى بوضوح للمرة الأولى
أنه لم يكن حاضرًا بالكامل في حياته.

كان دائمًا في المنتصف.

منتصف الدرجات.
منتصف الاهتمام.
منتصف الطموح.

حتى في مشاعره... كان يخاف أن يعترف بها كاملة.

في المساء، لم يجلس ينتظر إشعارًا لن يأتي.

أغلق هاتفه.

ارتدى حذاءه.

ونزل إلى ساحة الأكاديمية.

كانت الساحة شبه فارغة.

هواء بارد يتحرك بين الأشجار.

ركض.

لم يكن معتادًا على الركض.

بعد دقيقتين شعر بضيق في صدره.
بعد خمس... احترقت ساقاه.

كان يستطيع أن يتوقف.

لكنه لم يفعل.

لم يكن يعاقب جسده.

كان يختبره.

عند اللفة الرابعة، سقط تقريبًا.

توقف، انحنى، يلتقط أنفاسه.

نظر إلى الأرض.

تذكّر الساحة الحجرية في إيلفار.
تذكّر اسمه في الأسفل.
تذكّر زر الحظر.

لم يسبّ.
لم يلعن.

قال فقط:

"مش هافضل كده."

كانت جملة بسيطة.

لكنها كانت أول عهد حقيقي.

بدأ التغيير صغيرًا.

استيقاظ مبكر.
ركض يومي.
تمارين بسيطة في الغرفة.

لم يكن يسعى لعضلات ضخمة.
كان يسعى لانضباط.

بعد أسبوعين، بدأ جسده يستجيب.

كتفاه استقامتا قليلًا.
خطواته أصبحت أثبت.

لكن التغيير لم يكن جسديًا فقط.

في إحدى الليالي، مرّ على جملتها مرة أخرى في ذهنه:

"آخر سطر هو الحقيقة كلها في سطر واحد."

دخل إلى مكتبة آستور.

لم يكن قد دخلها من قبل.

تجوّل بين الرفوف بتردد.

أخذ رواية عشوائية.

جلس.

قرأ أول عشر صفحات بصعوبة.
ثم بدأ ينساب.

اكتشف شيئًا غريبًا.

أنه حين يقرأ... لا يفكر فيها.

لا يفكر في اللوحة.
لا يفكر في سامر.

يفكر فقط في القصة.

صار يعود كل ليلة إلى المكتبة.

رواية بعد أخرى.

لم يكن يفهم كل الرموز.
لكنه كان يتعلم الإحساس.

يتعلم كيف تُبنى شخصية.
كيف ينكسر بطل... ثم يعود.

وبدأ يسأل نفسه سؤالًا جديدًا:

لو كانت حياتي رواية...
هل أقبل أن يكون هذا فصلي الأخير؟

الإجابة جاءت سريعة.

لا.

بعد شهرين، لم يعد الطلاب يرونه كما كان.

لم يعد الصمت حوله ضعفًا.
صار هدوءًا.

لم يعد يجلس منكمشًا.
صار مستقيمًا دون تصنّع.

حتى صوته تغيّر.

أبطأ.
أثبت.

في إحدى المرات، واجه أستاذًا أخطأ في تقييم إجابته.

قديمًا، كان سيسكت.

هذه المرة، وقف بهدوء، وشرح وجهة نظره.

لم يرفع صوته.
ولم يرتبك.

وحصل على درجته.

خرج من القاعة وهو يشعر بشيء جديد.

ليس انتصارًا على الأستاذ.

بل انتصارًا على نفسه القديمة.

لم يراسل ليان.

لم يحاول البحث عن طريقة للالتفاف حول الحظر.

كان يمكنه أن يفعل.

لكن جزءًا منه فهم أن الحب لا يُطلب بالقوة.

إن كانت ستعود يومًا...
فليكن وهو شخص مختلف.

لا ليُثبت لها شيئًا.

بل ليكون مستحقًا لنفسه أولًا.

مرّت تسعة أشهر.

التغيير لم يكن فجائيًا.

لكنه كان عميقًا.

جسده أقوى.
عقله أهدأ.
نظراته أكثر ثباتًا.

وفي إحدى الليالي، جلس أمام دفتر فارغ.

حدّق فيه طويلًا.

ثم كتب أول جملة:

"في مدينة تؤمن أن المصير يُكتب مسبقًا…
قرر شاب أن يعيد كتابة نفسه."

توقف.

ابتسم ابتسامة خفيفة.

لم يكن يعرف أنه بدأ للتو
رحلة لن تتوقف.

ولم يكن يعلم
أن عودته إلى إيلڤار
لن تكون كما خرج منها.

الفصل السابع

تسعة أشهر ليست زمنًا طويلًا.

لكنه كافٍ ليغيّر ملامح رجل.

عاد ريان إلى إيلڤار في صباح شتوي بارد.

لم تكن عودة احتفالية.
لا موسيقى.
لا مشاهد درامية.

فقط حقيبة على كتفه...
وخُطى ثابتة فوق حجارة المدينة التي يعرفها جيدًا.

إيلڤار لم تتغير.

الأزقة نفسها.
المقاهي نفسها.
الساحة الحجرية نفسها.

لكن الذي تغيّر...
هو الشخص الذي يسير فيها الآن.

كان أطول قليلًا في وقفته.
أعرض في كتفيه.
وجهه أكثر حدة، لا بسبب القسوة... بل بسبب الهدوء.

عيناه لم تعودا تبحثان عن شيء.

بل تريان.

عاد لأنه أنهى عامه في آستور بتفوق غير متوقع.

لم يكن الأول.

لكنه لم يعد في المنتصف.

صار في الصفوف الأمامية.

حين رأى اسمه هذه المرة...
لم يشعر باندفاع.

شعر براحة.

كأن شيئًا استقر أخيرًا.

في اليوم الأول بعد عودته، قرر أن يمر على المكتبة القديمة في وسط المدينة.

ليان كانت تحب الكتب.
وكانت تقول دائمًا إن رائحة الورق القديم تشبه بداية قصة جديدة.

لم يذهب ليبحث عنها.

ذهب لأنه صار يحب القراءة فعلًا.

دخل.

الجرس الصغير أعلى الباب رنّ بهدوء.

وتوقّف الزمن.

لم يكن يتوقعها.

ولم تكن تتوقعه.

كانت واقفة قرب الرف الجانبي، تمسك كتابًا بين يديها.

شعرها أطول قليلًا.
وجهها أنضج.

لكن عينيها... كما هما.

نفس العمق.

نفس الضوء الذي يختبئ خلف الحذر.

تلاقَت أعينهما.

لم يكن هناك ارتباك فجائي.

لم يكن هناك انهيار.

كان هناك... صمت ثقيل.

لحظة قصيرة، لكنها بدت كأنها تمتد.

ليان كانت أول من تكلّم.

"رجعت."

كلمة واحدة.

بصوت هادئ، بلا اتهام... بلا دفء زائد.

ريان لم يبتسم ابتسامة عريضة.
قال فقط:

"آه."

توقف لحظة.

ثم أضاف:

"كنت محتاج أرجع."

لم يسألها لماذا حظرته.

لم يعاتبها.

لم يلمّح للماضي.

ليان لاحظت شيئًا فورًا.

لم يكن يقف كما كان يقف.

لم يكن صوته مهزوزًا.

لم تكن نظرته متعلقة بها.

كان هادئًا بشكل مقلق.

قالت، محاولة كسر الصمت:

"سمعت إنك عملت سنة قوية في آستور."

أجاب:

"كانت سنة مهمة."

لم يقل صعبة.
لم يقل مؤلمة.

قال مهمة.

وكأنه لا ينكر الألم... لكنه لا يمنحه البطولة.

دقّ قلبها أسرع قليلًا.

ليس لأنها لم تعد تبالي.

بل لأنها رأت الفرق.

الشاب الذي وقف أمامها الآن...
ليس نفسه الذي كتب لها اعترافًا مرتبكًا ذات ليلة.

هذا أكثر ثباتًا.

أكثر وعيًا بنفسه.

وأقل احتياجًا.

وهذا... أربكها.

قالت:

"مبسوطلك."

ابتسم ابتسامة صغيرة.

حقيقية.

"شكرًا."

صمت جديد.

لكن هذه المرة... لم يكن ثقيلًا كما قبل.

كان أشبه بصفحة تُقلب ببطء.

قبل أن تخرج، قالت:

"لسه بتقرأ؟"

سؤال بسيط.

لكنه كان يعرف معناه.

أجاب:

"أكتر من الأول."

ثم نظر إلى الكتاب في يدها.

"لسه بتدوري على آخر سطر مثالي؟"

توقفت للحظة.

تذكرت.

ابتسمت بخفة:

"دايمًا."

هزّ رأسه.

"يمكن النهاية مش سطر...
يمكن قرار."

لم ترد فورًا.

شعرت أن الجملة تحمل أكثر مما تبدو.

ثم قالت بهدوء:

"يمكن."

خرجت من المكتبة.

ريان لم يتبعها.

لم يلتفت مسرعًا.

عاد ينظر إلى الرفوف.

لكن قلبه... لم يكن باردًا.

كان هادئًا.

وللمرة الأولى...
لم يكن خائفًا من أن يخسرها.

لأنه لم يعد خاسرًا لنفسه.

الفصل الثامن

لم أرَ سامر في يوم عودتي.

لكنه كان حاضرًا في رأسي.

بشكل غريب...
الخيانة لا تحتاج وجود صاحبها كي تؤلم.

كنت أظنه أقرب شخص لي.

سامر لم يكن مجرد زميل في إيلڤار.
كان الشخص الذي يعرف تفاصيل لا يعرفها غيره.

كنا نجلس في آخر القاعة معًا.
نتقاسم السخرية من المحاضرات.
نتشارك خططًا صغيرة عن المستقبل.

كنت أثق فيه ثقة عمياء.

وهذه كانت أول غلطة.

(فلاش باك)

قبل إعلان النتائج الأولى بأسبوعين،
كنت قد حصلت على فرصة مهمة.

مشروع بحثي خاص،
اختارني فيه أحد الأساتذة لأنني الوحيد الذي أنهيت الجزء الأصعب مبكرًا.

لم أخبر أحدًا...
إلا سامر.

قلت له بحماس طفل:

"لو المشروع ده نجح، ممكن يفتحلي باب التحويل لأكاديمية أعلى."

ابتسم يومها.
ربت على كتفي.

وقال:
"إنت تستاهل أكتر من كده."

كنت أصدّقه.

بعد أيام،
حدث شيء غريب.

استدعاني الأستاذ.

المشروع سُحب مني.

بدون شرح واضح.

قيل إن هناك "ملاحظات" على عملي.
وأن طالبًا آخر أظهر مستوى أفضل.

لم أفهم.

كنت متأكدًا من شغلي.

بعدها بأسبوع...
رأيت سامر يقدّم المشروع نفسه تقريبًا.

نفس الفكرة.
نفس البناء.
حتى بعض الجُمل التي كنت أقولها له في جلساتنا.

حين نظرت إليه،
تجنب عيني.

لم أواجهه.

كنت ضعيفًا حينها.
أو ربما خائفًا من الحقيقة.

اخترت أن أصدق أن الأمر صدفة.

لكن في داخلي...
كنت أعرف.

(الآن)

عندما خرجت نتيجة التصنيف وكنت في آستور،
كان اسمه في قائمة المتفوقين في إيلڤار.

لم أشعر بالغيرة.

شعرت بالخداع.

لكنني لم أكرهه.

الغريب أن الخيانة لا تجعلك دائمًا غاضبًا.

أحيانًا تجعلك... أبرد.

عدت إلى إيلڤار وأنا أعلم أنه سيظهر.
والتقيته فعلًا.

في ساحة قديمة قرب الأكاديمية.

ناداني باسمي،
كأن شيئًا لم يحدث.

"ريان! رجعت؟"

صوته كان عاديًا جدًا.

التفتُّ إليه.

رأيته بوضوح.

نفس الملامح.
نفس الابتسامة التي لا تكشف شيئًا.

لكنني لم أرَ فيه صديقي القديم.

رأيت درسًا.

قال وهو يقترب:
"سمعت إنك عملت سنة جامدة في آستور."

أجبته بهدوء:
"عدّت."

نظر إليّ قليلًا،
كأنه يحاول قراءة الفرق.

ثم قال ضاحكًا:
"وحشتني القعدة بتاعتنا."

هنا فقط شعرت بشيء يتحرك داخلي.

ليس ألمًا.

ولا حنينًا.

بل وضوح.

قلت له:

"الناس بتوحش لما تفضل زي ما هي."

توقف عن الضحك.

لم يفهم فورًا.

أكملت:

"أنا مبقاش عندي نفس القعدة."

لم أرفع صوتي.
لم أتهمه.
لم أفتح ملف الماضي.

هو فهم.

وأنا كنت متأكدًا أنه فهم.

لم أكن أريد انتقامًا.
ولا اعتذارًا.

كنت فقط... لا أريده في حياتي.

لأول مرة،
اخترت من يبقى ومن يخرج.

وغادرت.

لم أنظر خلفي.

الفرق بيني الآن وبيني قبل عام...

أنني لم أعد أخاف خسارة الأشخاص.

لأنني فهمت شيئًا بسيطًا:

بعض الناس لا يخونونك فجأة.
هم فقط يظهرون حقيقتهم
عندما تمنحهم ثقتك كاملة.

وسامر...
كان درسًا ضروريًا.

لكي أتعلم أن الصمت أحيانًا
أقوى من المواجهة.

الفصل التاسع

لم يكن لقاؤنا في المكتبة حدثًا عابرًا بالنسبة لها.

كنت أعرف ذلك.

ليس لأنني ما زلت أقرأ عينيها كما كنت،
بل لأن الصمت الذي كان بيننا لم يكن صمت غرباء.

كان صمت شخصين يعرفان أكثر مما يقولان.

الأيام التالية مرّت بهدوء.

لم أحاول رؤيتها.
لم أرسل إشارة.
لم أبحث عن صدفة.

كنت أعيش يومي كما هو.

أستيقظ مبكرًا.
أتمرّن.
أقرأ.
أكتب أحيانًا.

إيلڤار لم تعد المدينة التي أشعر فيها أنني أقل من غيري.

صارت فقط... مدينة.

أما أنا،
فلم أعد ذاك الشاب الذي ينتظر تقييمًا ليعرف قيمته.

سمعت لاحقًا — من صديق مشترك —
أن ليان سألت عني.

لم تسأل بدافع الفضول.

سألت بهدوء.

"هو اتغير فعلًا؟"

السؤال لم يكن عن شكلي.
ولا عن دراستي.

كان عن الجوهر.

وهذا أربكني قليلًا حين علمت.

لأنني لم أتغير لأُبهِر أحدًا.

تغيرت لأنني تعبت من نسخة قديمة مني.

التقينا مرة أخرى.

صدفة هذه المرة.

في الساحة الحجرية.

المكان نفسه الذي وقفت فيه يوم إعلان النتيجة الأولى.

كانت الشمس تميل نحو الغروب.

ألوان السماء انعكست على الحجارة القديمة.

رأتني أولًا.

اقتربت بخطوات مترددة،
لكن ثابتة.

قالت:

"بتقعد هنا كتير؟"

نظرت حولي.

ابتسمت قليلًا.

"زمان كنت بقعد هنا عشان أستنى حاجة تتغير.
دلوقتي بقعد عادي."

تأملت الجملة.

لم أكن أوجّهها لها.

كنت أقولها لنفسي.

جلست بجانبي.

مسافة صغيرة بيننا.

ليست قريبة... وليست بعيدة.

قالت بعد لحظة صمت:

"أنت مبقتش زي زمان."

لم يكن في صوتها حنين فقط.

كان فيه شيء آخر...

دهشة.

أجبت بهدوء:

"ولا أنتِ."

نظرت لي سريعًا.

كأنها لم تتوقع أن أراها أيضًا تتغير.

أكملت:

"كلنا بنتغير...
بس مش كلنا بنلاحظ ده."

سكتت.

ثم سألت فجأة:

"زعِلت مني؟"

السؤال خرج منها مباشرًا.

بلا تمهيد.

نظرت للأفق.

فكرت قليلًا.

"زعلت... آه.
بس مش عشان الحظر."

التفتت نحوي.

انتظرت التفسير.

قلت:

"زعلت عشان كنت محتاج أفهم نفسي أكتر قبل ما أطلب من حد يبقى معايا."

لم أتهمها.

لم أقل إنها هربت.

لم أفتح الجرح.

وهذا ما جعلها تشعر بثقل أكبر.

لأن الهدوء أحيانًا...
أصعب من العتاب.

قالت بصوت منخفض:

"كنت فاكرة إنك هتكرهني."

هززت رأسي.

"الكره بيحتاج طاقة.
وأنا صرفت طاقتي كلها في إني أبقى أحسن."

سكتنا.

لكن هذه المرة،
لم يكن الصمت حرجًا.

كان صمت تفكير.

ليان كانت تحب الروايات.

وكانت تؤمن أن آخر سطر هو الحقيقة كلها.

وأظن أنها بدأت ترى الآن
أن قصتنا لم تكن نهاية مبتورة...

بل فصلًا غير مكتمل.

وقفت قبل أن تغرب الشمس تمامًا.

قالت وهي تستعد للرحيل:

"ريان...
يمكن في حاجات لازم تتكتب من جديد."

نظرت إليها.

لم أبتسم كثيرًا.

ولم أندفع.

قلت فقط:

"اللي يتكتب من جديد...
لازم يكون عن قناعة."

هزّت رأسها.

كأنها فهمت الرسالة.

هذه المرة،
لم أشعر بالخوف أن تمشي.

ولم أشعر أنني خسرت شيئًا.

لأنني لم أعد أتمسك بمن لا يختارني.

لكنني أيضًا...
لم أغلق الباب.

وأنا جالس بعد رحيلها،
تذكرت أول مرة اعترفت لها فيها بمشاعري.

كنت مرتبكًا.
متسرعًا.
أخاف الرفض أكثر مما أؤمن بنفسي.

الآن...

لو سألتني إن كنت ما زلت أحبها؟

الإجابة لم تعد صاخبة.

لم تعد حاجة ملحّة.

لكنها حاضرة.

هادئة.

مثل كتاب تعرف أنه لم ينتهِ بعد...
لكنك لا تستعجل صفحاته.

الفصل العاشر

لم أتوقع أن تعود ليان سريعًا.

كنت أعلم أن الكلمات التي قيلت في الساحة لم تكن نهاية،
لكنها لم تكن بداية أيضًا.

كانت منطقة وسطى.

ومنطقة المنتصف... لم أعد أحبها.

مرّ أسبوع.

ركزت في عملي.

بدأت أساعد أحد الأساتذة في مشروع بحثي جديد في إيلڤار.
لم أخبر أحدًا هذه المرة.

لم أكرر الخطأ القديم.

تعلمت أن بعض الإنجازات تنمو بصمت أفضل.

في إحدى الليالي،
بينما كنت أراجع ملاحظات،
وصلتني رسالة.

رقم غير محفوظ.

لكنني عرفت.

"ممكن نتكلم؟"

لم أشعر بارتباك.
ولم يخفق قلبي بعنف كما كان يحدث قديمًا.

نظرت إلى الرسالة طويلًا.

ثم كتبت:

"نتكلم."

التقينا في نفس المكتبة.

كأن القدر يحب إعادة المشاهد،
لكن بشخصيات مختلفة قليلًا.

كانت جالسة تنتظرني.

لم تكن متوترة.

لكن عينيها لم تكونا ثابتتين كعادتهما.

جلست أمامها.

قالت مباشرة:

"أنا غلطت."

لم أعلّق.

أكملت:

"لما حسيت إنك اتعلقت بيا... خفت.
ولما خفت... هربت.
الحظر كان أسهل من المواجهة."

كانت صادقة.

لم تبرر.

لم تهاجم.

قالت الحقيقة كما هي.

سألتني بهدوء:

"دلوقتي... لو رجعنا نتكلم...
هيكون إيه الفرق؟"

السؤال كان مهمًا.

قديماً، كنت سأقول:
"هكون أحسن عشانك."

لكن الآن...

فكرت لحظة.

ثم قلت:

"الفرق إنّي مش محتاجك عشان أحس إني كويس."

رفعت عينيها نحوي.

لم يكن الرد قاسيًا.

كان واضحًا.

أكملت:

"أنا بحبك...
بس مش هعيش على أمل إنك تختاريني يوم وتبعدي يوم.
يا نختار بعض بوضوح...
يا نبقى ذكرى محترمة."

صمتت.

الجملة لم تكن تهديدًا.

كانت حدًا.

لأول مرة،
وضعت حدًا.

قالت بعد تفكير طويل:

"أنا مش عايزة أخسرك."

ابتسمت ابتسامة خفيفة.

"الخسارة مش دايمًا معناها نهاية."

نظرت إليّ بتساؤل.

أضفت:

"أحيانًا معناها إننا نسيب الحاجة تمشي لحد ما نبقى جاهزين فعلًا."

كانت تحاول أن تقرأني.

لكن لم يعد فيّ ذلك الشاب السهل القراءة.

سألتني:

"يعني إيه؟"

قلت بهدوء:

"يعني لو هنبدأ... نبدأ بقرار.
مش بمشاعر لحظة."

لم أرد وعدًا.

ولم أطلب عهدًا.

كنت أطلب وضوحًا فقط.

طالت الجلسة.

تحدثنا عن أشياء بسيطة.

عن الدراسة.
عن الكتب.
عن التغيير.

لم يكن الحديث رومانسيًا.

وكان هذا أجمل ما فيه.

قبل أن نغادر، قالت:

"أنا محتاجة أفكر."

هززت رأسي.

"خدي وقتك."

لم أطلب مدة.
لم أحدد موعدًا.

لأنني لم أعد أنتظر بشغف مؤلم.

إن اختارتني...
ستجدني ثابتًا.

وإن لم تفعل...
لن أعود إلى النسخة القديمة.

في طريق عودتي،
مررت بالساحة الحجرية.

وقفت للحظة أمام اللوحة التي تحمل العبارة القديمة:

"العدل أساس المصير."

ابتسمت.

فهمت أخيرًا.

العدل ليس فيما يحدث لنا.

العدل فيما نختاره بعد ما يحدث.

وأنا اخترت نفسي أولًا.

أما ليان...

فإن عادت،
ستجد رجلًا لا يخاف الحب.

وإن لم تعد،
فقد كانت فصلًا مهمًا.

لكن ليست الكتاب كله.

الفصل الحادي عشر

مرّ أسبوعان.

لم أراسلها.
ولم تراسلني.

لم يكن بيننا خصام.

كان بيننا انتظار ناضج.

كنت أعيش يومي كما هو.

أتمرّن صباحًا.
أعمل على المشروع سرًا.
أقرأ ليلًا.

وفي إحدى الأمسيات، بينما كنت أجلس في المكتبة،
سمعت خطوات أعرف إيقاعها جيدًا.

رفعت رأسي.

ليان.

لم تكن مترددة هذه المرة.

تقدّمت وجلست أمامي مباشرة.

لم تمسك كتابًا.
لم تختبئ خلف حديث جانبي.

قالت:

"فكرت."

أغلقت دفتري بهدوء.

انتظرت.

أكملت:

"أنا كنت بخاف من الشخص اللي يحبني أكتر مما أحبّه.
كنت بحس إني مسؤولة عن سعادته."

نظرت إليّ بثبات.

"بس لما شفتك بعد رجوعك...
فهمت إنك مبقتش محتاج حد يشيلك."

صمتت لحظة.

ثم قالت الجملة التي كنت أعرف أنها قادمة:

"أنا عايزة أختارك."

لم تتحول الدنيا إلى مشهد سينمائي.

لم أبتسم كطفل.

لم أمد يدي فورًا.

سألت سؤالًا واحدًا فقط:

"بتختاريني... عشان بتحبيني؟
ولا عشان مبقتش خايفة؟"

أخذت نفسًا عميقًا.

"عشان بحبك...
وعشان المرة دي أنا مش بهرب."

طالت اللحظة.

كنت أستطيع أن أقول نعم فورًا.

كنت أستطيع أن أستعيد كل شيء بسهولة.

لكنني تذكّرت نسخة قديمة مني
كانت تقبل بأي فتات من الوضوح.

الآن... لم أعد كذلك.

قلت بهدوء:

"أنا لسه بحبك."

ارتجف طرف ابتسامتها.

أكملت:

"بس المرة دي... هنمشي خطوة خطوة.
مش رجوع فجأة.
مش وعود كبيرة.

هنبني حاجة جديدة...
مش نصلّح حاجة قديمة."

نظرت لي طويلاً.

ثم ابتسمت.

ابتسامة مختلفة.

فيها احترام.

قالت:

"موافقة."

لم نمسك أيدي بعض.

لم نعلن بداية رسمية.

خرجنا من المكتبة معًا.

مسافة صغيرة بيننا.

لكنها لم تكن مسافة خوف.

كانت مسافة وعي.

مررنا بالساحة الحجرية.

وقفت ليان تنظر إلى العبارة المنقوشة.

"العدل أساس المصير."

قالت بهدوء:

"يمكن المصير مش بيتكتب لوحده."

نظرت إليها.

أجبت:

"يمكن بيتكتب...
بس إحنا بنختار نكمله إزاي."

تبادلنا نظرة طويلة.

لم تكن نهاية صاخبة.

ولم تكن بداية حالمة.

كانت اتفاقًا.

أن الحب لا يكون هروبًا.

ولا يكون احتياجًا.

يكون اختيارًا.

في تلك الليلة، عدت إلى غرفتي.

فتحت دفتري.

وكتبت:

"في مدينة تؤمن أن المصير يُكتب مسبقًا...
اكتشف شاب أن أقوى سطر في الرواية
هو ذاك الذي يتركه الكاتب مفتوحًا...
ليُكتب معًا."

توقفت.

لم أضع نقطة في النهاية.

أغلقت الدفتر.

لأن بعض القصص
لا تحتاج نقطة.

يكفيها استمرار.

"الحب ليس أن تتمسّك بمن يختارك أحيانًا...
الحب أن تختار نفسك أولًا."